

فلسفة التعليم الحديث: من المعرفة إلى ما وراء المعرفة

Philosophie de L'éducation moderne

أ. أوشان جميلة جامعة غرداية

ouchen.djamila@univ-ghardaia.dz

تاريخ النشر:	تاريخ القبول :	تاريخ الإرسال :
2023/06/30	2023/05/23	2023/05/10

الملخص: عملت الجزائر على مدى عقود منذ الاستقلال على إصلاح المنظومة التعليمية مرة تلوى الأخرى رغبة منها في مجاراة التطورات العالمية في مجال التعليم، خاصة بعد أن أصبح الاقتصاد والقوة الدولية ورفاه الشعوب وتقدم الدول في كل المجالات حتى في مجال الخدمات والتربية قائم على المعرفة، الجميع يريد أن يجري انتشار المنتج الفكري البشري بشكل مذهل مع انتشار الوسائل التقنية الحديثة من وسائط متعددة **multimedia** أو الوسائط الحديثة **nouveau media** كالوسائط الإلكترونية **médias électroniques** التي تجعل المعرفة في متناولنا بسهولة منقطعة النظير، لم يعد من الصعب الحصول على الكتاب أو المقال أو البحث لحظيا في نسخته الرقمية، بل إنَّ الكتاب والمكتبات المستقبلية ستصبح رقمية تماما كما تُظهر جميع المؤشرات الحالية مع النجاح الكبير الذي حققه تلك المكتبات مثل أمازون وغيرها، وانتشرت المؤسسات التعليمية الرقمية بمختلف أطوارها وأصبح التعليم الرقمي ما بعد كورونا واقعا قائما يُدفع به نحو الأمام، إننا أمام واقع تعليمي جديد تماما صار يحتاج إلى فلسفة تعليمية تتوافق معه ولم يعد الحديث عن المقاربة بالكفاءات كاف لهذه الفلسفة الجديدة التي تتمحور حول التعليم الذاتي والمستدام والرقمي ، لقد ولدت فلسفة جديدة متطورة تقوم على مفهوم الميتا معرفة أو ما وراء

المعرف قائمة على تعليم التفكير في التفكير وليس تعليم الفكر، تعليم حل المشكلات وليس تلقين المعلومات، هذا المقال يهدف في ظل غياب شبه كامل لدينا بهذه الفلسفة التعليمية الحديثة إلى كشف أهميتها في التعليم الحديث القائم على وسائط تقنية متنوعة وتخطيط مستقبلي عالمي لتعليم ذاتي مستدام.

الكلمات المفتاحية: التعليم الرقمي؛ ما وراء المهرفة؛ التعليم الذاتي؛ تقرير ديلور؛ إدغار موران.

Abstract:

Since independence, Algeria has worked to reform the education system, eager to keep up with global developments in the field of education. It is easily accessible to us, it is no longer difficult to obtain the book or the article or to search in its digital version, rather the book and future libraries will become completely digital as all current indicators show with the great success obtained by these libraries like Amazon, and digital educational institutions have spread in their different phases and education has become Post-Corona digital is an existing reality. We are facing a whole new educational reality that needs an educational philosophy that is compatible with it. Talking about the skills-based approach is no longer enough for this new philosophy which revolves around self-sufficiency and digital education. A new developed philosophy was born based on the concept of meta-knowledge or what. Behind cognition is based on teaching thinking about thinking, not teaching thinking, teaching problem solving, not teaching information. This article aims, in the light of our almost complete absence to write about this modern pedagogical philosophy, to reveal its importance in modern education based on various technical supports and the overall future planning of self-education.

Keywords: digital education; meta-cognition; self-education; Delore Report; Edgar Moran.

مقدمة :

مع كل السهولة الكبيرة في الحصول على المعلومة وأمام هذا الكم الهائل من المعارف المتراكمة المتاحة أصبح النسخ وإعادة التركيب والنقل أسهل طرق المعرفة لدى طلبتنا، عملية آلية دون فهم أو تدبر أو تفكير، طلبتنا معذورون في ذلك فالعالم يتغير من بين أيدينا ومن حولنا لكن طرائق التعليم والتقييم عندنا لازالت ترزح تحت أعباء الماضي حيث المعلم هو محور العملية التعليمية، وحيث التعلّم هو الحصول على المعرفة أو الفكر الانساني، ونحن نعلم أنّ التعليم كغاية في حدّ ذاته المنفصل عن قضايا المجتمع وتنميته المستدامة أصبح أمرا غير مرغوب فيه تماما، فعالم اليوم مختلف تماما عن عالم أفلاطون وأبا حامد الغزالي ومختلف حتى عن عالم أساتذتنا ومعلمينا نحن، لقد لعبت الثورة الصناعية ومن بعدها الثورة التكنولوجية وظهور الوسائط الالكترونية دورا حاسما في إعادة بناء أنماط جديدة للاقتصاد والحياة والمعرفة، فأصبحنا من حيث شئنا أو أبيتنا نتاج تلك المعرفة التي تصنع الاقتصاد والسياسة والمجتمع، وتصنع طرائق تفكيرنا وحياتنا، وإذا كانت المؤسسات التعليمية على اختلاف مراتبها ومسمّياتها مازالت تعتقد أنّها المجال الموضوعي لإنتاج المعرفة فهذا يعني أنّها يجب أن تتجدد وفق الواقع الموضوعي العالمي الجديد.

لقد أصبح التعليم الفعّال كما جاء في تقرير ديلور (1996) (جاك ديلور وآخرون ، 1996، ص. 19-22) للجنة الدولية المعنية بالتربية والتعليم للقرن الحادي والعشرين هو تعلّم طرائق العيش معا من

خلال تنمية المعرفة بالآخر دون فقدان للمحلية المميزة بالخصوصية، ومعرفة كيف نعمل على الوجه الذي يحفظ للمجتمع تنمية مستدامة، ممّا يجعل الفرد دائماً في حالة اكتساب كفاءات جديدة قادرة على مواجهة المواقف غير المتوقعة، وأن يتعلم الفرد كيف يكون مستقلاً معتمداً على الذات متحملاً للمسؤولية الشخصية من خلال فهم الذات على نحو أفضل، بل يذهب تقرير ديلور أيضاً إلى أنّ ذلك لا يكون إلاّ من خلال تعلّم كيف نتعلّم ومعرفة كيف نعرف خلال مسار الحياة المستمر، أي معرفة كيف نفكر في جميع المواقف الحياتية المختلفة طيلة الحياة.

والحقيقة أنّ التعليم من منظور جديد خاض فيه الكثيرون وحتى لا نكرر أنفسنا نريد أن نركّز انطلاقاً من خبرة طويلة في المجال على العنصر الأساسي في عملية التعليم الذي تحدّث عنه التقرير السابق الذكر خاصة في عصر التعليم عن بعد وانتشار مفهوم التعليم الذاتي وهو تعليم كيف نتعلّم وكيف نعرف، أو بتعبير آخر ماهي الشروط الموضوعية لتعليم يُخرجنا من حالة النسخ إلى حالة حل المشكلات ؟ كيف نخرج من حالة تعليم الفكر إلى حالة تعليم التفكير ؟ ما هي مبررات وضرورات الانتقال من التفكير إلى التفكير في التفكير أو بمصطلح آخر الانتقال من المعرفة إلى ما وراء المعرفة؟ لأجل الإجابة عن هذه التساؤلات والخوض في هذا الموضوع النادر تناوله في الكتابات العربية ارتأينا التركيز على النقاط التالية:

- أهمية الخروج من حالة المعلّم الشيخ والمتعلّم المريد

- مبررات الانتقال من التفكير إلى التفكير في التفكير

- فلسفة الميتا معرفة والتعلم الذاتي

1. أهمية الخروج من حالة المعلم الشيخ والمتعلم المريد

يتحدث إدغار موران عالم الاجتماع الفرنسي عن "العمى المعرفي" (إدغار موران، 2002، ص.22) وهو وهم المعرفة الناتج عن أخطاء الإدراك المشوش بالمشيريات المختلفة المحيطة بالمتعلم، وعن الخطأ العقلي الناتج عن بناء وإعادة بناء المعرفة كمنتوج إنساني اجتماعي تاريخي، فالمعرفة نتاج اجتماعي وكذلك أخطاؤها، وإذا تتبعنا البيئة الاجتماعية لصناعة المعرفة في الوطن العربي نجدها بيئة تقليدية محافظة هي امتداد لمجتمعات محافظة تخشى الابداع وترفضه تحت مسمى الابتداع، ناشرة العمى المعرفي في جميع الأطوار التعليمية، كما أنّها بيئة محاباتية تحابي "المعارف" (وهو مصطلح جزائري شعبي ليس بمعنى المعرفة العلمية وإنما بمعنى العشائرية والقبلية والجهوية...) أيا كان من يدخل تحت هذا المسمى من معرفة النسب، إلى معرفة الدشرة (القرية)، إلى معرفة المصلحة، إلى معرفة التبعية والخضوع ، أو كما يسميها أحمد هني (وهو باحث جزائري) علاقة الشيخ والمريد، فالطالب الجيد هو الطالب الذي يتبع خطوات أستاذه، هو الممثل لا المنتقد، المتبع الناسخ للفكر لا المبتدع، فالمبتدعون مزعجون لمجتمعاتهم التقليدية على الرغم أن الابتداع ارتبط بالدين وفي مجاله المحدد وهو الحكم بما لم ينزل به الله من الأمور الشرعية، ولم تتعطل

العقول عن الابداع والاجتهاد إلا حينما انتصرت العقلية المحافظة في جميع مجالات المعرفة، وانتشرت العصبية حتى في مجال المعرفة وأصبح محيطها ملوَّث بالمثيرات المنغصة للفكر والخوف من التجديد، دعوني أسطو على مقولة لأدورنو وهوركهايمر في معرض حديثهما عن تكوين الحماقة >>الجسم يُشل بجرح فيزيائي، أما الروح فتُشل بالخوف>> (ماكس هوركهايمر. ثيودور أدورنو، 2006، ص. 312)

فالتعليم في الوطن العربي يبدو كإلزامات مضنية من الأمر والنهي والاجترار متجذرة في الصورة الذهنية للوعي العربي، لذا كثيرا ما نسمع الطلبة عند ظهور نتائج الامتحانات يحتجون على النقاط و يُذكَرون الأساتذة جها أو لمزا "بضاعتهكم ردت إليكم"، بل إن الكثير من الطلبة يبحث في تاريخ الأستاذ التعليمي ممن سبقوه إلى الجامعة ليتعرّف على مكان رضى الأستاذ ليتحول إلى مريد مطيع يحظى بالرضى والقبول، يصبح إظهار التميّز الفكري هو عينه استنساخ عرض الأستاذ غير القابل للحجاج، يصبح التعليم أو الفعل البيداغوجي كله على حد تعبير بيير بورديو وباسيرو "فعل إملاءات" (Bourdieu, P & Passeron, 1970, p.134) وتلقين واستنساخ للواقع التعليمي والمعرفي والفكري السائد.

إن الأمر يتعلق بالعادات التعليمية والبيداغوجية التي تشكّلت وتجلّت داخل نظامنا التعليمي منذ زمن طويل وإعادة استنساخها باستمرار، هناك سلبية ملحوظة في تلقي الرسالة التعليمية، وابتعاد المؤسسة التعليمية عن هدفها كمؤسسة فاعلة في الفعل الاجتماعي

عندما تعيش حالة الاجترار الفكري بعيدا عن الممارسة أو براكسيس المعرفة، ومن الغريب أن نجد عند ابن خلدون توصيف لثلك السلبية إذ يقول "... فنجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من التصرف في العلم والتعليم" (ابن خلدون، المقدمة، الجزء الثاني، ص 167)، على الرغم من أنّ التصرف في العلم والتعليم هو غاية المعرفة وغاية المجتمع في نفس الوقت، كيف نتصرف في المعرفة، كيف نوظفها، كيف نحل بها المشكلات داخل مؤسساتنا ومجتمعنا، كيف ننتج بها الحلول وننتج بها معارف جديدة متطورة باستمرار.

العادات التعليمية المستنسخة في مجتمعات ترهب التجديد والابداع الذاتي وتنظر إليه بعين الريبة هي التي صنعت طلبة يخافون الحجاج ولا يملكون الثقة في مداركهم، حلقة مفرغة شكّلت لديهم عقدة الضعف والانهمزام والاتكالية ، وهي في الحقيقة عقدة المعلمين والأساتذة والمنظومة التعليمية ككل إنّها في المجتمعات المتخلّفة حضاريا عقدة مجتمع، عقدة الم غلوب هذه العقدة التي تجذّرت في الوعي واللاوعي المجتمعي تركتنا نبحت عن مخارج غريبة التوجه كأن يدفع بالمعلمين والأساتذة الجامعيين على الخصوص إلى تقييم أعمال الطلبة المنسوخة كلها من الأنترنت وإعطاء نقطة عليها، ويصر الطلبة محتجين في كل مرة أن لا تقل عن عشرة نقاط في الوقت الذي يجب أن ترفض تماما.

يبدو أننا نسير بخطى بطيئة جدا في مسار التجديد وإلا كيف نفسر أنّ الوضع التعليمي في الغرب الذي تبين لنا أنّه لم يكن يختلف عن وضعنا التعليمي عرف ملامح تغيير كبيرة، فدوركايم يكتب بوضوح أنّ النظام التعليمي الفرنسي على عهده لا يفتقد إلى خاصية المرونة وقصور في تمثل الجديد فقط بل يعادي كل تجديد (Durkheim, E. 1922, p.137)، وبير بورديو يستشيط غضبا من المؤسسة التعليمية الفرنسية التي تقوم على فعل بيداغوجي تقليدي يجعل من الأستاذ محور العملية التعليمية ونفوذه غير مطعون فيه، والطالب محل ريبة كشخص غير قادر على التفكير فاشل لا يُرجى منه شيء (Bourdieu, P & Passeron, J C. p.138-140)، على الرغم من أنّ الغرب مازال يشتكي الوضع التعليمي لديه إلا أنّه ابتعد عنا أشواطا كبيرة شأن جميع مجالات الحياة الأخرى، ليس الهدف الاستشهاد بالغرب والشعور بعجز المقارنة، إنّما الذي المثير أنّ تطور التعليم في الغرب هو تطور موضوعي لواقع اجتماعي عام في جميع جوانبه، فالتعليم لا تطوّره القرارات واللوائح وما أكثرها عندنا إنّما تطوّره إرادة التغيير والتجديد التي تحظى بالتقدير والتبجيل كفعل مرغوب اجتماعيا.

الذي يحدث أننا لم نكتف بتعليم الاستنساخ المعرفي والفكري داخل مؤسساتنا التعليمية بل نحبّد استنساخ الوضع الغربي في جميع شؤوننا وهذا يكشف عقلية الإتياع لا الإبداع ، وهذا ما يحدث مع الإصلاحات التعليمية والاقتصادية والسياسية التي نتابعها في سائر الأوطان العربية والتي لا تختلف كثيرا عن بعضها، فهي جميعا

مستنسخة من ADN الفكري الغربي والحضارة الغربية الرأسمالية، فلا تعطي سوى وضع مشوه حضاريا، يعرض الباحث الأستاذ أحمد هني(219-232, Henni, A, 1990) صورة مشابهة لهذا التشوه الجيني في دراسة له عن العلاقات (التعاقدية) داخل المؤسسة الاقتصادية الجزائية ويظهر كيف أنّ غياب التحفيز وإتاحة مجال المبادرة والابداع وعلاقات المعرفة المسيطرة تُحوّل العمل إلى وظيفة استنزائية وتحسين الوضع الاجتماعي فقط لا أكثر، وكذلك التعليم تحوّل في ظل فكر الاستنساخ والإتباع بالنسبة للمعلمين ووظيفة استنزاق، وللطلبة الحصول على شهادة للتفاوض بها على وظيفة للاستنزاق، إنّ هذا من العمى المعرفي يضاف إلى أنواع العمى المعرفي لادغار موران، بل هذا الوضع يصنع جميع أنواع العمى المعرفي سواء الأخطاء الذهنية Les erreurs mentales أو أخطاء العقل Les erreurs de la raison أو الأخطاء الفكرية Les erreurs intellectuelles أو العمى النموذجي (نماذج الفكر، البراديغمات) Les aveuglements paradigmatic (إدغار موران، 2002، ص. 21-28)، للخروج من حالة الشيخ والمريد لابد من الخروج من عباءة التقليد والاتباع والاستنساخ والخروج من دائرة نماذج فكرية راسخة كأنها مطلقات على الرغم من كل ما يظهره لنا المعرفة الحديث من مقاربات سواء على مستوى التنظير أو المنهج.

2. مبررات الانتقال من التفكير إلى التفكير في التفكير

الحديث عن المقاربة بالكفاءات في الأطوار التعليمية الأولى والحديث عن نظام ل.م.د في التعليم العالي على المستوى التقني وعلى المستوى الموضوعي كحالة تجديد راهنة للتعليم وليدة للتطور التكنولوجي أمر لا جدال فيه حتى وإن وُلد في أحشاء الثقافة الغربية، لا يمكننا السفر من الجزائر العاصمة نحو الجنوب أو الشرق أو الغرب بالحصان أو الجمل تاركين الطائرة قبلنا بحجة المحافظة وعدم اتباع الغرب، علينا أن نتفق أولاً أنّ التطور الحضاري التقني الغربي لا يمكن رفضه تماماً الواقع العالمي الجديد واقع شبكي تحكمه علاقات القوة، لكن علينا أن نتذكر مع بورديو أنّ علاقات القوة ليست جميعها اقتصادية كما هو الأمر مع ماركس أو تكنولوجية كما هو الأمر مع يورغن هابرماس وإنّما هناك علاقات قوة رمزية ثقافية اجتماعية، داخل هذه المساحة الواسعة يمكن دخول صراع الخصوصية أو الحفاظ على الهوية (عبد العزيز العيادي، 1994)

لكن الذي حدث أن الإصلاحات التي عرفتها الكثير من الدول العربية بما فيها الجزائر هي استنساخ للواقع التعليمي الغربي في شكل صورة هلوغرامية لا أقل ولا أكثر دون روح حقيقية، نظام جديد بأساليب قديمة لم تتغير طرائق التدريس لا من حيث الأسلوب ولا من حيث الأهداف ولا من حيث الوسائل التي مازالت مع طلبتنا كما كانت معنا سابقا نحن الأساتذة الآن ، كما لم تتغير ولم تتجدد شكل الأبنية والمساحات الداخلية والخارجية، والمكتبات وقاعات التدريس وهيئتها،

ولا الأنظمة الإدارية ولا طرق وأساليب المعاملة، ونفس الشيء يقال بالنسبة للطلاب مازال يأتي معتمدا اعتمادا كليا على الأستاذ لا يريد أن يبذل أي جهد فردي حتى ولو أراد، فالخوف من الخطأ وعدم الثقة بالنفس سمة تطبع ذهنية طلبتنا كبّلت أية قدرة إبداعية لديهم، فلبسط أعمالهم عبارة عن نسخ مسخ سواء من دفات الكتب أو من صفحات الأنترنت أو من بحوث الزملاء السابقين "المنظومة التعليمية الحالية لا تنتج سوى متعلّمين سلبيين يحسنون اجترار المعلومات لإعادتها عند كل امتحان" - (Berrouche, Z & Berkane, Y. 2007, p. 1-14)، إنّ هذا كله يدفعنا للمحاجة من أجل توجيه المؤسسات التعليمية نحو تعليم التفكير بدل الفكر، ونورد مجموعة من الحجج التالية:

تراكم المعارف وتشعب التخصصات مع وجود علاقات بينية بين الكثير منها، وعجز المؤسسات التعليمية على استيعاب الكم الهائل من المعارف المتطورة والمتوسعة باستمرار ضرورة حتمية لتعليم التفكير بدل الفكر ، ونعطي مثال بسيط عن ذلك ينطبق على الكثير من الحالات في الكثير من التخصصات، ففي عرض التكوين في علم الاجتماع السنة الثانية لدينا النظريات الحديثة في علم الاجتماع وهي مقياس سنوي، وفي السنة الثالثة النظريات المعاصرة في علم الاجتماع وهي مقياس سداسي دون أن يمر الطلبة على النظريات الكلاسيكية المؤسسة لعلم الاجتماع، وحتى التي نسميها معاصرة أغلبها لم يعد كذلك فهي تعود للقرن الماضي والمقاربات الحديثة تكاد تصبح قديمة،

ولا يمكن للطلبة فهم الكثير فيما يخص هذه المادة ما لم يتعلموا الاعتماد في جزء من المعارف على التعلم الذاتي حتى تسهل عليهم عملية الفهم والاستيعاب السليم للمادة فالعلم تراكم معرفي ينبني بعضه على بعض.

لقد أصبح التعليم الفعّال كما جاء في تقرير ديلور 1996 هو تعلّم طرائق العيش معا من خلال تنمية المعرفة بالآخر دون فقدان للمحلية المميزة بالخصوصية، ومعرفة كيف نعمل على الوجه الذي يحفظ للمجتمع تنمية مستدامة، ممّا يجعل الفرد دائما في حالة اكتساب كفاءات جديدة قادرة على مواجهة المواقف غير المتوقعة، وأن يتعلم الفرد كيف يكون مستقلا معتمدا على الذات متحملا للمسؤولية الشخصية من خلال فهم الذات على نحو أفضل، بل يذهب تقرير ديلور أيضا إلى أنّ ذلك لا يكون إلّا من خلال تعلّم كيف نتعلّم ومعرفة كيف نعرف خلال مسار الحياة المستمر، وهذا لا يكون إلّا بتعلم التفليّح فالتعليم الذاتي أصبح واقع وسيصبح حتمية مستقبلا مع انتشار وسائل التعليم الإلكتروني.

- حضور التقنية في الحياة اليومية التي صنعت واقع جديد وخلقت علاقات اجتماعية جديدة، والمؤسسة التعليمية بما تضمّه من أعداد هائلة من الشباب في مختلف الأطوار كفاعلين داخل المنظومة أكثر الناس تمثلا للتقنية واستعمالا لها خاصة على مستوى التعليم العالي، داخل العالم القائم على التقنية الكثير من المعارف التي تحتاج إلى

تعلّم التفكير العلمي القادر على غريلة العلوم الزائفة حتى لا نقع في العى المعرفي.

- سرعة تطور المعرفة من جهة وتحولها حسب تعبير "هاربرت ماركوز" إلى شكل حياة وكلية تاريخية وعالم كامل (هاربرت ماركوز، 1988، ص. 187)، حيث يصبح العلم هو نفسه قائم على التكنولوجيا، والمؤسسة التعليمية جزء من هذا العالم أصبح فيها التعليم قائم على التقنية وي طرح بدائل جديدة للتعليم متحررة من الزمكان ومن الهويات الوطنية، ويعيد تشكيل مفهوم المؤسسة التعليمية خارج جدران الصف الدراسي إلى الصفوف الافتراضية، فالتعليم عن بعد يشدنا إلى مفهوم تعليم التفكير بدل الفكر حتى لا نتحول إلى مجتمعات فاقدة لهويتها الثقافية تمتص كل ما تجده على الشبكة فنتحول إلى عقول إسفنجية.

- لم يعد المعلم هو محور العملية التعليمية وإنما المتعلم مما يعنى أن المتعلم فاعل في العملية ككل، ويتحول إلى المسؤول على مراقبة تعلمه وتطوير فهمه ولا يكون ذلك إلا بالانتقال إلى التفكير في تفكيره بحيث يقوم المتعلم بعمل انعكاسي على تفكيره ومراقبة كيف يعمل ويفهم ويدرك ويستكشف نقاط القوة والضعف فيه ويساعد فكره على التطور ومهاراته على الاتقان وخبراته على النضج وكفاءاته على الجودة.

3. فلسفة الميتا معرفة والتعلم الذاتي

يوجد الكثير من الباحثين في علم النفس المعرفي والتربويين الذين تناولوا عمليات التفكير لعلّ أشهرهم عالم التربية الأمريكي روبرت مارزانو (يوسف قطامي ورعدة عرنكي، 2007)، وصرنا جميعا نعرف هذه العمليات، كالنقد، الابداع، حل المشكلات، إتخاذ القرارات، غير أنّ عملية التفكير في التفكير أو ما يُطلق عليها الميتا معرفة والذي تناوله تقرير ديلور السابق الذكر تحت مسمى معرفة كيف نعرف من أهمّ عمليات التفكير التي نراها ضرورية لكل طالب علم حتى لا يقع في أوهام المعرفة، والمعرفة الزائفة، والعنى المعرفي، وحتى يقدر على تجاوز حاجز الميّد القابع في جبة المعلم واكتشاف الإمكانيات الهائلة والقدرة الكبيرة على تعليم الذات.

فالتفكير في التفكير أو الميتا معرفة Metacognition تهتم بمعرفة المتعلم لتعلّمه أو فهم تفكيره كمتعلم، حيث يمكنه مراقبة كيفية استخدامه لتفكيره فيحصل له الوعي بالتعلم الذاتي بدل التلقي السلبي من المعلم، كما تكوّن له مع الممارسة المستمرة للتفكير في معرفته القدرة على استكشاف تفكيره من حيث مكان النقص، والاختلالات، والمعوقات الكامنة فيه، والمميزات التي يستطيع استثمارها وتنميتها، وتمكّنه من معرفة تفكيره ضمن تفكير الآخرين فيستكشف مكان من فرادته وتميّزه كما يستكشف طرائق أخرى للتفكير والتعلم، أثبتت الكثير من الدراسات أن الطلاب الذين يحسنون استعمال استراتيجيات ما وراء المعرفة هم الذين يملكون نماذج تعليمية

جيدة وأكثر نجاحا في دراستهم وأكثر قدرة على التعلم الذاتي، وأصبحت بعض الجامعات تستخدم هذه الاستراتيجية في تعليم اللغات الأجنبية مثل جامعة ليل التي أطلقت مشروع "اللغة وما وراء المعرفة" لطلبة الماجستير بهدف تنمية الاستقلالية لديهم ومساعدتهم على التعلم مدى الحياة واستطاع هذا المشروع أن يعيد مفهوم ممارسات التدريس في التعليم العالي الفرنسي (Rivens, M, & Eisenbeis, M. 2022)

هذا يتطلب إعداد معلمين وأستاذة يمتلكون لعدّة ديداكتيكية مرنة تلائم الوضعيات المشكلة المختلفة، قادرين على تطويرها باستمرار بما يناسب التطور السريع للمعرفة والتقنية، فالتعليم لابد أن يتناغم مع محيطه الاجتماعي والاقتصادي والكوني، كما أنه لابد من تطوير اتجاهات لاكتساب وتكييف واستعمال المعارف العالمية بتكوين موارد بشرية عالية المستوى قادرة على فهم الواقع المتغير وتغييره، وتأسيس مجتمع علمي ديمقراطي متضامن، ينشر القيم والمعايير والاتجاهات التي تشكل أساس مجتمع متحضر وقوي، يحترم العلم والتعليم ويتناغم معهما ويستخدمهما داخل الوعي المجتمعي كحالة مرغوبة ومطلوبة ومقدّرة، مجتمع علمي محفّز وفي نفس الوقت قادر على غرس المعتقدات التحفيزية لدى الطلاب بالكفاءات التي يرغبون في الحصول عليها حتى يصبح المتعلم مشارك في العملية التعليمية طوعية وبرغبة فالمعرفة ما وراء المعرفة كما يقول (Pallascio, R., & Daniel, M. F. 2004. P. 8-9) تتكون من المعرفة والخبرات والمهارات ما وراء المعرفة مع الأخذ بالاعتبار الجوانب الوجدانية للمتعليم والتحفيزية والسلوكية

والسياقية حتى يصبح المتعلم قادر على التحكم في عواطفه ودوافعه وسلوكياته وتنظيمها طوعية في تحقيق الأهداف المعرفية وحل المشكلات.

هي فلسفة تشرك المتعلم بفعالية في عملية تعلمه حيث يصبح هو المراقب والمتابع والمقيّم والمطور والمصحح والمعدل للعملية التعليمية الخاصة به، فالمتعلم هو الذي يشرف على إدارة عملياته العقلية وفهمها وتقييمها وتقويمها وتوجيهها، فهي وفق (Lafortune, L., Jacob, S., & Hébert, D. 2000. P. 10-15) ترتبط بالمفاهيم والتصورات التي يطورها المتعلم حول طريقته في التعلم، حول نقاط قوته وضعفه، حول المهمة أو النشاط الذي يقوم به أو المشكلة التي يعمل على حلها من حيث الجدوى ومتطلبات وشروط تنفيذها، حول استراتيجية تنفيذ تلك المهمة أو النشاط أو حل المشكلة ويتعلق الأمر هنا بفعل الفرز والاختيار والاستدلال وتدوين الملاحظات لماذا استخدم هذا الاجراء ومتى ولماذا ... أيضا تصورات المتعلم حول المهارات المستخدمة في إدارة نشاطه العقلي كالتخطيط والرقابة والتنظيم لأداء المهمة أو حل المشكل وفحص الخطوات والتحقق منها وفقا للهدف المخطط له، على طول الطريق يقوم المتعلم بمراقبة تعلمه وتقييمه مع تفعيل باستمرار المعارف والخبرات السابقة وتشكل له خبرات ما وراء معرفية كالشعور بالألفة أو بالصعوبة مع المهمة أو المشكلة أو الإعجاب بالمهمة، وتقدير الجهد المبذول وتشكل أحكام الثقة (Berger, J. L. 2013. P. 297-318)

ما زالت هذه الفلسفة التعليمية لا تدرس لدينا، وفي البلاد العربية تكاد تكون غائبة وليست موضوع بحث بعد، وفي الغرب ما زالت موضوع بحث ودراسة خاصة في علم النفس وعلوم التربية على الرغم من أنها ظهرت أواخر القرن الماضي، وصعوبتها تكمن في ارتباطها بالتكوين التصوري والمفاهيمي والعقلي والذاتي للمتعلم والسياق الاجتماعي والثقافي والتعليمي المحيط بها، والمعتقدات التحفيزية والوجدانية للمتعلم والتي تساهم الاسرة والمجتمع والمنظومة التعليمية في غرسها أو تشويرها، وترتبط بالتصورات والمفاهيم المجتمعية للبحث العلمي والعلم والتعليم والنجاح، في حين ما زالت الدراسات والبحوث والمعتقدات لدى المنظومة الجامعية تتعلق بالأستاذ وتحسين الأداء وطرق التدريس

الخاتمة :

الواقع التعليمي عندنا لا يشير إطلاقاً إلى تكوين طلبة باحثين خاصة على مستوى التخصصات الإنسانية والاجتماعية، الطلبة ينظرون إلى أنفسهم كتلاميذ صف دراسي جاءوا في أحسن الأحوال لأخذ المعلومات وفي أسوأها لتفادي الإقصاء، البحوث التي هي مهام توكل إليهم بهدف تعلم التلخيص والتوليف والنقد وطرح الأفكار وتحليلها ومناقشتها تحولت إلى نسخ من الأنترنت، والمهام الموكلة إليهم كالبحوث الميدانية على الرغم من أنها تخلق لهم التشويق إلا أنها سرعان ما تتحول إلى عبء بسبب المعوقات التي يجدونها في الميدان الذي لا يؤمن كثيراً بالبحث العلمي ولا يرغب في أن يقتحم هدوءه الرتيب البحث، الهشاشة تطبع نظرهم لأنفسهم وانعدام الثقة بالنفس هو الغالب، والرغبة في النقطة والانتقال والحصول على الشهادة هي مهمتهم ومشروعهم وهدفهم الأول والأسعى، مع قرار منع الإقصاء من الأعمال الموجهة إبتداء من هذه السنة بدأ عزوف الطلبة خاصة في الأولى ماستر، ومع قرار منحة البطالة للمتخرجين شطب الكثير من طلبة الماستر أسماءهم من إكمال مسارهم التعليمي ورضوا بالمنحة وقد يؤثر هذا كثيراً على مستقل الماستر.

إنه وضع ينادينا لإعادة النظر في بناء الإنسان والقيم المعرفية والعلمية والتحفيز عليها، أن نصل إلى فلسفة الميتا معرفة حيث ينخرط الطالب طواعية وبرغبة في العملية التعليمية وتحقيق الأهداف ويساهم في تكوين ذاته وتوجيه مساره، ويصبح فاعلاً في الجامعة

والمجتمع هذا أمر يتعلق بانخراط الجميع في الاعلاء من قيم التعليم والعلم والتحفيز عليهما وقبلهما تحفيز الابداع والابتكار، يشير (Berger. Ibid) إلى نوعين من الطلبة: طالب يهدف إلى الاتقان يتوجه باستمرار نحو تنمية معارفه وتحسين كفاءاته ومهاراته من خلال معيار شخصي فمقياسه هو ذاته هل أحرز تقدما أكثر وهذا طالب باحث عن النجاح والتميز، وطالب يهدف إلى الأداء لا الاتقان يتوجه نحو إظهار المهارات من خلال معيار غيري بناء على المقارنة الاجتماعية مع الأقران فيشعر هذا الطالب بالرضى إذا كان أدائه أفضل من زملائه، ونظيف نحن طالب يهدف إلى النقطة يتوجه باستمرار نحو تنمية مهاراته في الحصول عليها بشتى الطرق والمفاوضة مع الأستاذ عليها بحق أو بدونه وهؤلاء يتوجهون نحو الحصول على شهادة التخرج، فلينظر كل أستاذ من خلال تجربته في الميدان أيهم أكثر عندنا وإذا كانت الرغبة في المعرفة على مستوى أعلى يمكن أن يتحول الأمر إلى ميدان بحث وتقييم وإعادة نظر وبناء.

المصادر والمراجع:

المصادر.

- 1- إدغار موران، تربية المستقبل: المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر، عزيز لزرق و منير الحجوجي، المغرب، دار توبقال للنشر، فرنسا منشورات اليونيسكو، ، ط1، 2002
- 2- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، الجزء الثاني، تحقيق عبد الله الدرويش، دمشق، دار البلخي، 2004
- 3- عبد العزيز العيادي، ميشال فوكو: المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، (1994)
- 4- ماكس هوركهايمر و ثيودور ف أدورنو، جدل التنوير، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2006
- 5- هاربرت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي بيروت، منشورات دار الآداب، ط3، 1988
- 6- يوسف قطامي ورعدة عرنكي، نموذج مارزانو لتعليم التفكير للطلبة الجامعيين، عمان، دار ديونو للنشر والتوزيع، 2007
- 7- Bourdieu, P & Passeron, J.C, (1970). La Reproduction : Éléments pour une Théorie du Système d'Enseignement, Paris, édition de minuit
- 8- Durkheim, E. (1922). Éducation et Sociologie, Paris, édition Félix Alcan

- 9- Lafortune, L., Jacob, S., & Hébert, D. (2000). *Pour guider la métacognition* (Vol. 1). PUQ. canada
- 10- Pallascio, R., & Daniel, M. F. (2004). *Pensée et réflexivité: théories et pratiques* (Vol. 14). PUQ. Canada

المقالات.

- 11- Berger, J. L. (2013). Motivation et métacognition : les buts de compétence président les processus métacognitifs en résolution de problèmes mathématiques. *Psychologie française* , 58(4)
- 12- BERROUCHE, Z., & BERKANE, Y. (2007). La Mise en Place Du Système LMD en Algérie : entre la nécessité d'une réforme et les difficultés du terrain, *Revue des sciences Économiques et de Gestion, université Ferhat Abbas*, vol 7, N^o 07
- 13- Henni, A. (1990). Le Cheikh et Le Patron : Usages de la modernité dans la reproduction de la tradition, *Peuples méditerranéens* n° 52-53, Juillet-décembre
- 14- Rivens Mompean, A., & Eisenbeis, M. (2022). La métacognition au service de l'intégration des apprentissages informels dans un dispositif d'autoformation guidée . *Recherches en didactique des langues et des cultures . Les cahiers de l'Acedle*, 20

المواقع الإلكترونية.

15- جاك ديلور وآخرون (1996). التعلّم: ذلك الكنز المكنون، تقرير
قدمته اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين،
منشورات اليونيسكو

https://www.gcedclearinghouse.org/sites/default/files/resources/%5BARA%5D%20Learning_0.pdf